الكتاب المقدس عطية الله لنا:

مبادئ علم التفسير

الدرس الرابع	منهجيّات نحو المعنى

خدمات الألفيّة الثالثة
تعليمٌ كتابيٌّ. للعالم. مجاناً.

للحصول على فيديوهات، وأدلة الدراسة، وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

© ٢٠١٧ خدمات الألفيّة الثالثة

كافة حقوق الطبع والنشر محفوظة. ولا يجوز نسخ أي جزء من هذا المنشور بأي شكل أو وسيلة بغاية الربح، باستثناء اقتباسات مختصرة بغرض المراجعة، أو التعليق، أو البحث العلمي، دون إذن خطي من الناشر، خدمات الألفيّة الثالثة على العنوان البريدي:
Third Millennium Ministries, Inc., 316 Live Oaks Blvd., Casselberry, Florida 32707.

اقتباسات النصوص الكتابيّة مأخوذة من ترجمة البستانيّ – ڤاندايك، إلا إذا أُشير إلى غير ذلك.

حول خدمات الألفيّة الثالثة

تأسست خدمات الألفيّة الثالثة سنة ١٩٩٧، وهي مؤسسة مسيحيّة لا تهدف للربح ومكرّسة لتقديم **تعليماً كتابيّاً. للعالم. مجاناً.** تلبيةً لحاجة العالم المتزايدة لتدريبٍ مسيحيّ للقادة يستند إلى الكتاب المقدّس، ننتج منهاجاً لاهوتيّاً سهل الاستخدام، مدعوماً بالتبرعات، وذو وسائط إعلاميّة متعددة في خمس لغات رئيسيّة وهي (الإنجليزيّة، والإسبانيّة، والروسيّة، والماندرين الصينيّة، والعربيّة). ونوزّع هذا المنهاج مجاناً لمن هم في أشد الحاجة إليه، في المقام الأول على القادة المسيحيين الذين لا يستطيعون الحصول على الدراسة التقليديّة، أو ليس بمقدورهم تحمّل نفقاتها. تُكتَب كل الدروس وتُصمَّم وتُنتج في مؤسستنا، وتتشابه في الأسلوب والنوعيّة لما تجده على قناة التاريخ (History Channel). لقد برهنت هذه الطريقة الفريدة، والفعّالة من حيث تكلفتها، لتدريب القادة المسيحيين على فاعليتها في كل العالم. وقد ربحنا جائزة تيلي للإنتاج المتميز للفيديو في مجال التعليم واستخدام الرسوم المتحركة. يُستخدَم منهاجنا اليوم في ١٩٢ دولة. وتُنتَج مواد الألفيّة الثالثة في شكل اسطوانات مدمجة (DVD) ومطبوعات، وبث على الإنترنت، وعن طريق محطات التلفزيون الفضائيّة وكذلك البث الإذاعي (الراديو) والتلفزيونيّ.

للمزيد من المعلومات عن خدمتنا وكيف يمكنك المشاركة نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت
http://arabic.thirdmill.org

المحتويات

I. المقدمة

II. الموضوعيّة

أ. الخلفية

ب. التأثير

III. الذاتيّة

أ. الخلفية

ب. التأثير

IV. الحواريّة

أ. الخلفية

ب. التأثير

ت. المقارنة

١. المحاورة المصحوبة بسلطان والمنهجيّة الموضوعيّة

٢. المحاورة المصحوبة بسلطان والمنهجيّة الذاتيّة

V. الخاتمة

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

الكتاب المقدس عطية الله لنا:

مبادئ علم التفسير

الدرس الرابع

منهجيّات نحو المعنى

المقدمة

سمعنا كُلُنَا في وقتٍ أو آخر، اختلاف الناس حول معنى مقطعٍ ما في الكتاب المُقدس. وغالباً ينتهي الجدل بالطريقةِ نفسها، فيقول أحدُهم: "حسناً، إن تفسيركَ هو رأيُك أنت". فيردُّ الآخر: "كلا، ليس هو رأيي فحسب، بل هو الحقيقة". تُعكس هذه التصريحات أحد أهم الأسئلة في التفسير الكتابي: عندما نقرأ مقطعاً مُعيَّناً في الكتاب المُقدس، ونصل إلى استنتاجٍ بشأن معناه، هل يكون استنتاجُنا هذا حقيقةً موضوعيّة، أم رأياً شخصياً، أم شيئاً ما في الوسطِ بينهما؟

هذا هو الدرس الرابع في سلسلة *الكتاب المقدس عطية الله لنا: مبادئ علم التفسير*، وقد أعطيناه العنوان "منهجيّات نحو المعنى". وسننظر في هذا الدرس إلى بعض الطرق الرئيسية التي بها يُحدِّد ويصف المُفسّرون معنى الكتاب المُقدَّس.

حين نبدأ بطرح أسئلةٍ عن معنى مقاطع كتابية تثار أمامنا في الكتاب المُقدَّس، من المفيد أن نبدأ بالتمييز ما بين موضوعات المعرفة والعاملون في موضوعات المعرفة. موضوعات المعرفة هي الأشياء التي نحاول فهمها. ويمكن لهذه الموضوعات أن تكون أشياء مجرّدة، مثل الأفكار، أو أشياء ملموسة، مثل الناس أو الأماكن.

فمثلاً، يدرس علماء الأحياء موضوعاتٍ مثل الحيوانات والنباتات. ويدرس الموسيقيون موضوعاتٍ مثل الموسيقى والآلات الموسيقية. وبالمقابل، فإن العاملين في موضوعات المعرفة هم الذين يقومون بتلك الدراسة. ففي مجال علم الأحياء، يكون علماء الأحياء هم العاملين في مجال المعرفة الخاص به. وفي مجال الموسيقى، يكون الموسيقيون هم العاملين في حقل المعرفة الخاص به.

وهكذا، حين نفسّر الكتاب المُقدس نكون نحنُ العاملين فيه، لأننا من يقوم بالتفسير. ويكون موضوع دراستنا هو الكتاب المُقدَّس، لأنه ما نحاول تفسيره.

والآن، يسهل أن نرى أن الفهم البشري بكل أنواعه يشتمل على موضوعات للمعرفة وعاملين في المعرفة. ولكن كيف تتفاعل الموضوعات والعاملون في المعرفة معاً في مسعى اكتساب المعرفة؟

عادةً ما يكون مفيداً أن نتحدَّث عن ثلاث منهجيات رئيسية في النظر إلى موضوعات المعرفة

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

البشرية والعاملين فيها. أولاً، يميل البعض لمنهجيةٍ ندعوها الموضوعيّة. يعتقد الموضوعيون أنه في الظروف المثاليّة والصحيحة يمكن الوصول إلى معرفة موضوعيّة أي غير متحيّزة. ثانياً، يميل آخرون نحو منهجيّة تُدعى الذاتيّة. ويؤمن الذاتيون (العاملون على الوصول إلى المعرفة) أنّ معرفتنا تتأثّر دائماً بتحيُّزاتنا وميولنا الشخصيّة. وثالثاً، ثمَّة مَن وجَد أرضاً وسطاً يمكننا أن ندعوها الحواريّة (dialogism). تشدّد هذه المنهجية على "الحوار" أو التفاعل بين الحقيقة الموضوعيّة والمنظور الذاتيّ الشخصيّ.

وليس مفاجئاً أن هذه المنهجيات الثلاث اتُّبعت وتُتَّبَع في التفسير الكتابي. ولذا، في نظرنا إلى معنى مقاطع الكتاب المُقدَّس في هذا الدرس، سنهتم بكلّ واحدةٍ من هذه المنهجيات في محاولتنا الإجابة عن السؤال: هل فهمنا لمعنى مقطع كتابي معيّن هو فهمٌ موضوعيٌ، أَم فهمٌ ذاتيٌ شخصيٌ أم فهمٌ حواريٌ تفاعليٌ؟

سنركّز في هذا الدرس على المنهجيات الثلاث الرئيسية نحو إلى المعنى. أولاً: المنهجيات الموضوعيّة. وبعد ذلك المنهجيات الذاتيّة، ومن ثمّ المنهجيات الحواريّة التفاعليّة. ولنبدأ بالمنهجيات الموضوعيّة للوصول إلى معنى المقاطع الكتابية.

الموضوعيّة

التقينا جميعاً بأشخاصٍ لديهم آراء حول مواضيعٍ مختلفة، ولكنّهم غير قادرين على دعم ما يعتقدون به بحقائقٍ موضوعية. وبالطبع، ينطبقُ الشيءَ نفسَه على تفسيرِ الكتاب المُقدَّس. حيث يوجدُ آراءٌ متعددةٌ حول ما تعنيه مقاطعُ كتابيةٌ كثيرةٌ، لكن، لا يحاول معظمَ الناس بناء تفسيراتِهم على حقائق موضوعية. فهم ببساطة يؤكّدونَ اعتقادَهم حول معنى المقطع الكتابي، ويتركون الأمر عند هذا الحد. ونحن نواجهُ هذه المشكلة بشكلٍ متكررٍ يكفي أن يؤدي إلى الإحباطِ الشديد، ويجعلُنا جميعاً نتوقُ إلى فهمٍ موضوعي للكتابِ المُقدس نوعاً ما.

منذ القرنين السابع عشر والثامن عشر في أوروبا، أثّرت الموضوعية تأثيراً عظيماً في تفسير الكتاب المُقدَّس. وجوهر ما حدث هو أن العلماء كانوا يعتقدون أنّهم يستطيعون تفسير الكتاب المُقدّس من دون أيّ تحيّزٍ شخصي، وبأنهم يستطيعون معرفة معناه بدرجةٍ معقولة من اليقينية. ولا يقول معظم أتباع النهج الموضوعي إننا نستطيع التخلص من كل تحيّزاتنا وميولنا ونظراتنا الشخصية في تفسيرنا الكتاب المُقدَّس. ولكنّهم يؤمنون أننا نستطيع أن نمنع هذه الأمور من التأثير على تفاسيرنا، حتّى نتمكّن من الوصول إلى تفسير صحيح للكتاب المُقدَّس. فمثلاً، نعرف جميعاً العدد الأول في الكتاب المُقدس، التكوين ١: ١ الذي نصّه:

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

في البدء خلقَ اللهُ السمواتِ والأرض (التكوين ١: ١).

يتّفق معظم الناس على أن فهم المعنى الأساسي لهذا المقطع سهلٌ جداً. وفي الحدّ الأدنى، نستطيع أن نقول بثقة إنّه يعني أنّ "الله خلق كل شيء".

حين يقول الموضوعيون إن التكوين ١: ١، يعني أن "الله خلق كل شيء،" فهم يعتقدون أنهم فهموا هذا العدد من دون تحيّز أو ميل شخصي. ولذا، فهم يميلون إلى الاعتقاد بأن من يرفض هذا التفسير هو يخالف حقيقة واضحة.

والآن، نسأل: لماذا اتّبع كثيرون من مُفسّري الكتاب المُقدَّس هذا النهج في الوصول لمعنى المقاطع الكتابية؟ وماذا كانت نتائج الموضوعية في علم التفسير الكتابي؟

للإجابة عن هذين السؤالين، سنستكشف المنهجيات الموضوعية في التفسير بالنظر في اتّجاهين. أولاً، سننظر إلى الخلفية الفلسفية والثقافية لهذه المنهجيات. وثانياً، سنشير إلى تأثيرها على تفسير الكتاب المُقدَّس. ولنبدأ بالنظر إلى خلفية المنهجيات الموضوعية في التفسير.

الخلفية

يمكن رؤية الموضوعية بصفتها أبرزَ تيارٍ في الفلسفة الحديثة. وسندعو هذا التيار بالعقلانية العلمية. عادةً ما يُدعى رينيه ديكارت، الذي عاش في الفترة ما بين العام ١٥٩٦ والعام ١٦٥٠، بأبي العقلانية الحديثة، لأنّه هو من نشر فكرة كون العقل هو الحكم الأسمى والنهائي بشأن الحق والحقائق. بحسب هذا الرّأي، فإن بعض الأمور، مثل الدين والتقاليد والمعتقدات والبديهيات والخرافات، تشوّش تفكيرنا وتخفي الحقيقة الموضوعية عنّا. ولكنّ ديكارت أكّد على أنّ الاعتماد على التفكير المنطقي الجادّ يحرّر الإنسان من التشويش ويمكّنه من اكتشاف الحق الموضوعي.

كما تأثّرت العقلانية العلمية بالتطوُّرات التي حصلت في العلوم الطبيعية. ويُدعى فرانسيس بَيكِن، الذي عاش ما بين العام ١٥٦١ والعام ١٦٢٦، بأبي العلم الحديث، لأنّه طبّق مبادئ التفكير المنطقي العقلاني على دراسة العالم المادي. ونتيجةً لهذا، فقد روّج بَيكِن لفكرة أن البحث التجريبي المُنظَّم، وهو ما ندعوه عادةً بـ"المنهجية العلمية"، يكبح الذاتية الإنسانية، ويمكّننا من اكتساب فهمٍ موضوعي للعالم الذي حولنا.

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

أثّرت العقلانية العلمية في معظم حقول الدراسات التي تبنّت هذه المنهجية منذ القرن السابع عشر وحتى منتصف القرن العشرين. وحتّى العلوم الدينية واللاهوتية خضعت للتحليل العلمي العقلاني. وبالطبع، تغيّرت مفاهيم العقلانية والعلم بطرقٍ كثيرة عبر القرون. ولكن الافتراض الأساسي للموضوعية بقي بلا تغيير، وهو أنّه: باتّباع التحليل العلمي العقلاني يمكننا أن نصل إلى المعرفة الموضوعية.

في القرن العشرين، تطرَّفت الموضوعية الحديثة بفعل نظرة فلسفية واسعة تُدعى البنيوية. ولشرح البنيوية بتعابير بسيطة نقول إن البنيويين يحاولون استخدام الموضوعية العقلانية العلمية للوصول إلى فهم شامل وتامّ لكلِّ موضوع يدرسونه، بما في ذلك علم الاجتماع والفنون واللغة والآداب. وقد كانت رغبتهم بالموضوعية في تفسير الآداب شديدةً جداً، حتّى إنهم استبعدوا أي فهمٍ فيه شيءٌ من الذاتية. وبالنسبة لمدرسة التحليل العلمي العقلاني، كان يُعتقد أن مقاصد الكاتب وحاجات القرّاء الأصليين وآراء القرّاء الحديثين هي قضايا ذاتية تماماً. ولكنّ البنيويّين مقتنعون بأن التحليل العقلاني الجادّ يمكن أن يزوّدهم بفهمٍ موضوعي للنصوص التي يفسّرونها.

يلتقي الله بنا بكامل كياننا كبشر. فالله خلق كلَّ ناحيةٍ فينا. فخلق عقولنا وخلق بديهياتنا، وخلق عواطفنا. خلق كلَّ شيءٍ فينا. وهو يريد أن يتعامل بمحبة مع قلوبنا ونفوسنا وقوتنا وعقولنا، فتكون كل ناحية فينا في اتّصال معه. ولذا، فإن القراءة العقلانية الضيّقة للكتاب المُقدَّس ليست كافيةً، والقراءة العاطفية البديهية الضيقة هي أيضاً غير كافية. فينبغي أن تستجيب وتتفاعل مع الله بكل ما فيك. هذا ما يطلبه الله. كما أنّ الخطية تؤثّر في أذهاننا وبديهياتنا. ولذا، أعطانا الرب كل هذه النواحي فينا لتصوّب الواحدةُ الأخرى. أليس هذا صحيحاً؟ فقد يميل الناس ببديهيتهم لفكرة معُينة، ولكنْ حين يقرؤون الكتاب المُقدَّس، يكون لسانُ حالهم: "في الحقيقة، حين أفكّر بعقلي بهذا الأمر، أستطيع أن أرى أن بديهيتي تحتاج لتصويب". والعكس صحيح أيضاً. ففي بعض الأحيان، تكون لديّ أفكارٌ عقلية، وعليّ أن أقول إنّ ما يقوله الكتاب أكبر من تلك الأفكار العقلية. وبهذا، تحذّرني البديهة بأنّ الأفضلَ أن أبتعد عن هذه الفكرة، لكونها فكرةً غيرَ كتابية.

—الدكتور ڤيرن پويترس

بعد النظر إلى الخلفية الفلسفية والثقافية للمنهجيات الموضوعية في النظر إلى المعنى، ننتقل الآن إلى تأثير المنهجيات الموضوعية على تفسير الكتاب المُقدَّس.

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

التأثير

أثّرت الموضوعية العلمية العقلانية في تفسير الكتاب المُقدَّس بطريقتَين أساسيتَين. أولاً، قادت هذه المنهجية إلى ما ندعوه الدراسات الكتابية النقدية. وثانياً، أثّرت أيضاً على الدراسات الكتابية الإنجيلية.

ينادي العلماء النقديون عادةً بأن أفضل طريقة لتقييم الكتاب المُقدس هي الاستكشاف العقلاني، مثلما يجري في العلوم الطبيعية وعلم الآثار والتاريخ. ولكنَّ المُحزِنَ أن العلماء النقديين كثيراً ما تفوتهم رؤية حدود هذه البحوث والاستكشافات، ولذا ينتهي بهم الأمر برفض الكثير مما يقوله الكتاب المُقدَّس ويعلّمه.

وعلى الطرف النقيض من العلماء النقديين، يصِرّ العلماء الإنجيليون على أنَّ الكتاب المُقدس صحيح تماماً وذو سلطة مطلقة، وعلى أنَّ كلَّ الاكتشافات العلمية ينبغي أن تخضع لتعاليمه. لا يعني هذا أننا لا نستطيع أنْ نتعلَّم أشياء مهمة عن الكتاب المُقدس من العلوم الطبيعية وعلم الآثار والتاريخ. فحين يُستخدَم العقل والمنهجيات العلمية بشكلٍ صحيح وفي خضوع لسلطة الكتاب المُقدَّس، فإنَّها تكون أدوات بالغة النفع لاكتشاف المعنى في الكتاب المُقدَّس. وكثيراً ما تساعدنا أفكار هذه العلوم في فهم عناصر ومقاطع الكتاب المُقدس التي ترتبط بمعلومات علمية وأثرية وتاريخية. ولكنْ ينبغي عدم استخدام هذه العلوم لرفض ما يقوله الكتاب المُقدَّس ويعلّمه.

كل مَن يقرأ الكتاب المُقدس ويدرسه تكون لديه منهجية تفسيرية. والسؤال هو: هل نعي حقاً المنهجية التي نتّبعها، وهل نفكّر بحرص بالأسئلة التي نطرحها على الكتاب المُقدس، وكيف نصل إلى الإجابات. أمـّا الذين بدأوا منذ فترةٍ قريبة يدرسون الكتاب المُقدس ويفهمونه، فأشجِّعهم باتّباع منهجية منتظمة وتدريجية، وعلى أن يطبّقوا هذه المنهجية على الأسئلة التي يطرحونها بشأن كل سؤال يدرسونه. ولكنْ مهمٌّ أن نقول إن تفسير الكتاب المُقدَّس ليس علمًا فقط إنما هو علم وفن. فنحنُ لا نصل للمعنى الكامل والصّحيح للنصّ الكتابي بمجرَّد طرح الأسئلة الصّحيحة. ولذا، أعتقد أننا نتعلّم لا بمجرَّد اتّباع منهجية واحدة اتّباعاً جامداً، ولكن بانفتاحنا لقيادة الروح القدس في تفسير ما ندرسه.
—الدكتور فيليب رايكن

إن اتّباعنا منهجية جادّة ومدقّقة في تفسير الكتاب المُقدَّس لهو ميزةٌ عظيمة، لأَن هذا يحفظنا في دائرة الأمانة والصدق. ويحمينا من خطر السطحية أو قلة العلم والمعرفة في

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

معالجتنا نصوص الكتاب المُقدَّس. فالعمل على أساس، على أساس منهجية سليمة يدفعنا للقيام بما يجب عمله، وبالتالي، فإنه يعزِّز الاجتهاد ويدفع نحو مزيدٍ من الانتباه. ولكن في الوقت نفسه، يمكن للاتّباع البالغ التدقيق للمنهجية أن يمنع النصّ الكتابي من أن يقول ما يريد قوله. فيمكن لهذه المنهجية أن تؤدي إلى تفاسير اختزالية – تقدّم معنى ناقصاً. وأحد أمثلتي المُفضّلة على هذا قصة غسل الأرجل في يوحنا ١٣. فإن نظرنا إلى هذا المقطع بمنهجية استقرائية، وهو ما تعلّمه كثيرون منا، فسهلٌ أن نصل لقناعةٍ بأنَّ يوحنا ١٣ يعلّم درساً في الخدمة. ولكنْ كلّما نظرتُ إلى هذا المقطع في سياق إنجيل يوحنا الكامل وضمن الأسفار القانونية كاملةً، تزداد قناعتي بأنّ يوحنا ١٣ هو في الحقيقة تصوير دراماتيكي لحبكة القصة التي يقدّمها بولس في فيلبّي ٢، حيث يقول: "فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضاً، الذي إذ كان في صورة الله، لم يحسب خلسةً أن يكون معادِلاً لله، لكنّه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد ... وأطاع حتى الموت موت الصليب. لذلك رفّعه الله أيضاً وأعطاه اسماً فوق كل اسم، لكي تجثو باسم يسوع كلُّ ركبةٍ ... ويعترف كلُّ لسان أن يسوع المسيح هو ربٌّ". لدينا في هذين المقطعين حبكة قصة تتألَّف من مجد سابق وإخلاء للنفس وخدمة، ومن ثمّ العودة إلى المقام المجيد. يشبه الأمر ما يتكلّم عنه المفكِّر اللاهوتي جاروسلاف بيليكان (Jaroslav Pelikan) عن الوجود السابق والإخلاء والتمجيد في عقيدة المسيح. وثمة إشارات نصّية في إنجيل يوحنا تقودك إلى ذلك الفهم، ولكنّها ليست واضحةً تماماً. وهكذا، أعتقد أنّنا في دراستنا للكتاب المُقدس، علينا دائماً أن نتذكّر أن المنهجية وسيلة لهدف، وليست هدفاً لذاته، فالهدف، فالهدف الحقيقي هو فهم الكتاب المُقدَّس فهماً صحيحاً. هذا هو الهدف دائماً.

—الدكتور كيري ڤنزانت

يمكن للمنهجياتِ الموضوعية أن تساعِدنا بعدةِ طرق. فهي مفيدة في الاعتمادِ على العقلِ والطرق الصحيحة في التفسير، الأمر الذي يساعدنا على تفسير الكتاب المُقدس بحرصٍ ومسؤولية. ولكن رُغم قيمة هذه المنهجية في التفسير الكتابي، علينا أن نذكِّرَ أنفسَنا دائماً بأنّ الله هو الوحيد الموضوعي تماماً في معرفته، لأنّه ليس من شيءٍ مخفي عنه. ومهما كانت المحاولات قوية، لا يمكن للبشر أن يكونوا موضوعيين تماماً، أو باحثين للحقائق بدون تحيّز. لهذا، ودون إغفال فوائد المنهجيات الموضوعية، نحنُ بحاجةٍ إلى فهمٍ

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

أوسعٍ لما ينطوي عليه اكتشاف معنى الكتاب المُقدَّس.

بعد فهمنا للمنهجيات الموضوعية في الوصول إلى المعنى المقصود، لننتقل إلى المنهجيات الذاتية.

الذاتيّة

ثمة أنواع وأشكال عدة مختلفة للمنهجية الذاتية. ولكن بشكلٍ عامٍ يمكننا أن نقول إن أصحاب هذه المنهجية يدركون أن البشر والعالم، وقضايا الإيمان بشكلٍ خاصّ، غالباً ما تكون مُعقّدة أكثر مما يجب، بحيث تعجز العقلانية العلمية عن رؤيتها وفهمها. ولذا، فإن بحث أتباع النهج الذاتي عن المعنى يعتمد عادةً بشكلٍ قوي على بعض الملَكات الشخصية، مثل البديهة والعاطفة. فمثلاً، قدَّم يسوع في يوحنا ١٣: ٣٤-٣٥، التعليم التالي:

> **وصيةً جديدةً أنا أُعطيكم: أن تُحِبُّوا بعضُكم بعضاً. كما أحببتكم أنا تحِبُّون أنتُم أيضاً بعضُكم بعضاً. بِهذَا يَعْرِفُ الْجَمِيعُ أَنَّكُمْ تَلاَمِيذِي: إِنْ كَانَ لَكُمْ حُبٌّ بَعْضًا لِبَعْضٍ (يوحنا ١٣: ٣٤-٣٥).**

بمستوى ما، وصية يسوع واضحة نسبياً: من المُفترض بنا أن يُحِبَّ بعضُنا بعضاً. ولكن لدى الناس أفكارٌ مختلفة تماماً عما تعنيه المحبة.

قد ينظر الموضوعيُّ في الكتاب المُقدس ليعرف ما تعنيه المحبة. ولكنَّ الذاتيّ يمكن أن يكون أكثر ميلاً لتعريف المحبة بطريقته، ومن ثمّ العمل بحسب ذلك التعريف.

سيكون حديثنا عن المنهجيات الذاتية في الوصول إلى المعنى شبيهاً بحديثنا عن المنهجيات الموضوعية. فنتطرَّق أولاً إلى الخلفية الفلسفية والثقافية للمنهجيات الذاتية. وبعد ذلك نذكر بعض تأثيراتها على تفسير الكتاب المُقدَّس. ولنبدأ بخلفية نظرة المنهجيات الذاتية إلى التفسير.

الخلفية

برزت المنهجية الذاتية المعاصرة جزئياً كردٍّ على موضوعية القرنين السابع عشر والثامن عشر. فبعض الفلاسفة، مثل ديفيد هيوم، الشّكوكي الأسكتلندي الشّهير الذي عاش بين العامِ ١٧١١ والعام ١٧٧٦،

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

قالوا إن العقل والدراسة العلمية لا يستطيعان أن يقودانا إلى معرفة موضوعية للعالم. فقد كان هيوم وآخرون يؤمنون أن عواطفنا ورغباتنا وأفكارنا العقلية تؤثّر دائماً بتفكيرنا، ما يجعل الموضوعية غير المتحيّزة أمراً مستحيلاً.

كما أسهم الفيلسوف الألماني عمانوئيل كانط، الذي عاش بين العام ١٧٢٤ والعام ١٨٠٤، إسهاماً عظيماً في المنهجية الذاتية في الفكر. فقد أكّد كانط أننا لا نستطيع أن نعرف حقيقةً موضوعيةً كما هي، أي أننا لا نستطيع أن نعرف "الشيء نفسه". فكان يعتقد أننا نفهم العالم كما يبدو لنا، ومن ثمّ نعالج أفكارنا وفهمنا من خلال إطار المفاهيم العقلية الموجودة أصلاً في أذهاننا. وقد استنتج كانط أن ما ندعوه عادةً "معرفة العالم" يشتمل دائماً على إدراكنا التجريبي ومفاهيمنا العقلية.

استمرّت المنهجيات الذاتية بعد هيوم وكانط بالتطوُّر في القرن التاسع عشر من خلال حركات مثل الرومانسية (romanticism). كان الرومانسيون ومن تبعوهم يرون أن الشِّعر والدراما والموسيقى والفنون البصرية المُعبّرة كلُّها تعطي فهماً للحقيقة يمكن أن يفوق أي معالجةٍ عقلانية وعلمية. كما أصرّوا على أن للعقلانيّة تأثيراً يجرّد الإنسان من إنسانيته لأنّها تقلّل من قيمة سمات إنسانية مهمّة مثل البديهة والعاطفة. ولذا، أصرّوا على أنّ على المُفسِّرين أن يتّكلوا على سماتهم وقدراتهم البشرية الشخصية في تفسيرهم النصوص.

حدث تحوُّل آخر في المنهجيات الذاتية في أواخر القرن العشرين في حركةٍ تُدعى ما بعد البنيوية (post-structuralism). المنظّرون الفرنسيون جان فرانسوا ليوتارد (Jean-Francois Lyotard)، وجاك ديريدا (Jacques Derrida)، وميشيل فوكوه (Michel Foucault)، وآخرون رفضوا موضوعية بنيوية القرن العشرين. وفي الحقيقة، ترك كثيرون الموضوعية لأنّهم لم يعُد لديهم أي أمل بإمكانية الموضوعية. وقد شدّد هؤلاء على أنّه لا يمكن الوثوق بالادّعاءات الموضوعية الخاصّة بالمعرفة، لأنَّ المنهجيات الموضوعية محدودة جداً ومتأثّرة جداً بالتحيُّزات والمشاعر والمعتقدات الموجودة.

وعلاوةً على ذلك، يتفق أصحاب نهج ما بعد البنيوية مع فيلسوف القرن التاسع عشر الألماني فريدريك نيتشه ومع عددٍ من فلاسفة القرن العشرين الوجوديين في أنّ ادّعاءات الوصول إلى المعرفة هي بالدرجة الأولى محاولاتٌ لفرضِ أفكارِ وتحيُّزاتِ شخصٍ معيّن أو مجموعة معيّنة على الآخرين. بل إن بعض هؤلاء طبّق ذلك الفهم على الفنون والأدب مشيرين إلى أنّه حتّى التفسير الفنّي هو نوعٌ من ممارسة السلطة لتحقيق السّيادة الاجتماعيّة.

في أيّامنا، انتشرت الذاتية انتشاراً كبيراً، خاصّة في تفسير الفنون والآداب. فيقول المُفسِّرون الذاتيون إنّه لكوننا لا نستطيع الوصول إلى الفهم الموضوعي للعالم الذي حولنا، فإنّه ينبغي لمعنى الفنون والآداب،

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

بما في ذلك الكتاب المُقدَّس، أن يكمُن في داخلنا. ولذا، بدلاً من الحديث عن معنى موضوعي في الفن والأدب، يتكلَّم الذاتيون عن الطّريقة التي بها يُنظَر إلى الموسيقى واللوحات الفنية والكتب وغيرها من الأمور عند الثقافات المختلفة وعند المجموعات العرقية المختلفة وعند الطبقات الاقتصادية المختلفة، وعند الجنسين، وغيرها. وهؤلاء مهتمّون بشكلٍ خاصّ بالكيفية التي بها تستخدم تلك المجموعات المختلفة الفنون والآداب في خدمة أجنداتهم الاجتماعية المتنوّعة.

بعد أن قُمْنا بمسحٍ للخلفية التاريخية للمنهجيات الذاتية في الوصول إلى المعنى، صِرنا الآن مستعدّين للنظر إلى تأثير هذه المنهجيات على تفسير الكتاب المُقدَّس.

التأثير

من الناحية المثالية، لا يسمحُ أتباعُ المسيح للتيّاراتِ الثقافية المحيطة بهم بأن تؤثّر في طريقةِ تفسيرِهِم للكتاب المُقدس. لكنّ في الواقع، لا يمكنُنا الهروبَ تماماً من التأثيراتِ الثقافية على منهجيتِنا في التفسير الكتابي. وفي العقود الأخيرة، انتشر النَّهجُ الذاتي في التفسير خارج حدود المناقشات الأكاديمية، وأصبحَ من الشائعِ أن نلتقي العديدَ من الناس الذين يُصرّون على أنّ ادّعاءات الحقيقة ليست في الواقع إلا آراءٌ ذاتيةِ شخصية. وينطبق هذا بشكلٍ خاصّ على القضايا المتعلّقة بالإيمان والكتاب المُقدَّس. ولهذا السبب، علينا أن نصبحَ أكثرَ وعياً بالطرق التي أثرت بها الذاتية على التفسيرِ الكتابي في أيّامِنا.

تشبه المنهجيةُ الذاتيةُ كثيرا المنهجيةَ الموضوعيةَ العقلانيةَ العلميةَ في تأثيرها على الدراسات الكتابية النقدية والدراسات الكتابية الإنجيلية. فالعلماء الكتابيون النقديون المتأثرون بالنهج الذاتي يسعون، في العادة، للتأكيد بأنه لا يمكن الوصول إلى معنى موضوعي في النصّ الكتابي. ولذا، بدلاً من أن يعلّموا طلابهم عن اكتشاف المعنى الأصلي للكتاب المُقدَّس، يشجّعون قرّاء الكتاب المُقدَّس على أنْ يبتكروا المعاني لنصوص الكتاب المُقدَّس بما يتناسب مع أهدافهم وغاياتهم. بل إن بعضهم يقول إن هذا ما فعله كُتّاب العهد الجديد في تفسيرهم للعهد القديم. فهم مؤمنون أن كُتّاب العهد الجديد لم يهتمّوا فعلاً لما كانت نصوص العهد القديم تعنيه من الناحية الموضوعية، وبأن كُتّاب العهد الجديد كانوا مهتمّين بشكلٍ رئيسي بالكيفية التي يمكن بها استخدام العهد القديم للترويج لمعتقداتهم المسيحية. ويقول المُفسّرون النقديون أتباع النهج الذاتي إن علينا أن نعمل الأمر نفسه، أي علينا ألا ننشغل بالمعنى الموضوعي للكتاب المُقدَّس، وبأنَّ علينا أنْ نستخدم الكتاب المُقدَّس للترويج لأجنداتنا الاجتماعية والسياسية والدينية.

على الطرف النقيض من الدراسات الكتابية النقدية، تجنّبت الدراسات الكتابية الإنجيلية بشكلٍ كبير

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

المنظور الذاتي المتطرّف. ومن ناحية المبدأ على الأقل، عادةً ما يقِرّ الإنجيليون بأن الكتاب المُقدس هو كلمة الله، ولذا فإن معناه يحدّده الله لا المُفسِّرون. ولكنَّ الإنجيليين ليسوا مُحصّنين من التأثير السلبي للنهج الذاتي في التفسير. فمن دون تفكير بالمعنى الموضوعي للنصّ، كثيراً ما نسأل: "ماذا يعني هذا النصّ لك؟" وكثيراً ما يفرض الوعّاظ ومعلّمو الكتاب المُقدَّس الاهتمامات المعاصرة على مقاطع الكتاب المُقدَّس، من دون أيِّ اهتمامٍ حقيقي بالسّياق التاريخي للنّصّ.

ولكن بالرغم من هذه الأخطاء، لا يزال للمنهجية الذاتية إسهامات قيّمة في تفسير الكتاب المُقدس عند الإنجيليين. فقد أصابت في الإشارة إلى أن خلفياتنا الثقافية والشخصية ومهاراتنا وقدراتنا وضعفنا ومحدودياتنا كلُّها تؤثِّر في فهمنا للكتاب المُقدَّس. وقد ساعدتنا هذه المنهجية في أن نرى أنه كما أن الرُّوح القدس استخدم النظرات الذاتية عند الكُتّاب البشريين الذين أوحى إليهم لكتابة الكتاب المُقدَّس، فإنه يستخدم نظراتنا الذاتية في مساعدتنا على أنْ نفهم معنى الكتاب المُقدس ونطبّقه على ظروفنا وفيها.

يطالبنا الكتاب المُقدس دائماً باستجابة شخصية. فهو يعطينا كلَّ الوقت وعوداً لنؤمن بها، وتحذيراتٍ لنتّبعها، وأوامر لنطيعها. وهكذا نرى دائماً عنصر الاستجابة الشخصية لكلمة الله، وهو ما تطالب به حقّاً. الله نفسه يكلّمنا في كلمته. وأنا أعتقد أنّه من المهم أن ندرِك أن هذه ليست النقطة التي نبدأ عندها في تفسير الكتاب المُقدَّس، كما لو كانت أوّلَ وأهمَّ مسألة: "بماذا أشعر نتيجة قراءة هذا النص؟" أو "ما هي استجابتي الشخصية تجاه هذا المقطع؟" علينا أن نفهم ما عناه الكتاب المُقدَّس في سياقه الأصلي قبل أن نصل إلى المعنى الذي يحتويه الكتاب المُقدس لوضعنا الحالي. ولذا، مهمٌّ جداً أن نفهم معنى الكتاب المُقدَّس في ذاته، ومن ثمّ لا نتوقَّف عند تلك النقطة، لأننا نريد أن نصل إلى الاستجابة الشخصية. لكنّ كلا الأمرين بالغا الأهمية في عملية تفسير الكتاب المُقدَّس.
—الدكتور فيليب رايكن

يمكن للمنهجياتِ الذاتية في الوصولِ إلى المعنى أن تكونَ بالغةُ الضرَر، عندما لا تتركُ لنا أي معيارٍ لتقييم التفسيراتِ المختلفة للكتاب المُقدَّس. والحقيقةُ هي أن بعضَ تفسيراتِ الكتاب المُقدس أفضلُ من غيرها. لكن يمكن للمنهجيّاتِ الذاتية في التفسير الكتابي أن توجه أنظارنا نحو الطرق التي غالباً تؤثر بها خلفياتُنا، وشخصياتُنا، وحتى بديهياتُنا وعواطفُنا على تفسيراتِنا للكتاب المُقدَّس. ويمكن لإدراكِ هذه التأثيرات أن يساعدنا في التعامُلِ معها بشكلٍ أكثرَ فاعلية، حتّى نفسّرَ الكتابَ المُقدس بمزيدٍ من المسؤولية.

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

والآن، بعدَ أن استكشفنا المنهجيتَين الموضوعية والذاتية في الوصول إلى المعنى، لنوجّه انتباهنا إلى المنهجيات الحوارية.

الحوارية

لقد قابلنا، في وقتٍ أو آخر، أناساً لديهم آراءً قويةً بشأن أمرٍ ما، ويصرّون أن يتفق الجميع معهم اتّفاقاً تامّاً. وفي كثيرٍ من الأحيان، نسايرهم للحفاظ على السلام بيننا. لكن في أحيانٍ أخرى، تكون القضيةُ المطروحة بالغةَ الأهمية حتّى إنّنا نُصِرُّ على الحديث عنها أكثر. وفي مثل هذه النقاشات الجيدة، يبذل الشّخصان أقصى الجَهد للتعبير عن أنفسِهم بوضوحٍ وللاستماعِ لبعضهِما البعض بحرصٍ. ونأمل مع استمرِ الحوار، أن يصلَ الطرفانُ إلى نوعٍ من الاتّفاق في الرأي. في العقود الأخيرة، أصبح هذا النوع من النقاش أو الحوار نموذجاً لتفسير كل الكتابات الأدبيّة، بما في ذلك الكتاب المُقدَّس.

الكلمة "حوارية" (dialogical) تشير إلى فكرة أن التفسير يشتمل على نوعٍ من الحوار أو النقاش بين القارئ والنصّ. والفكرة الأساسية هي أنّ للنصّ معنى موضوعيًا، ولكنْ يتمّ التوصُّل إلى ذلك المعنى الموضوعي من خلال التفاعل الذاتي أو الحوار الذاتي بين القارئ والنصّ.

نرى مثلاً على هذا النوع من الحوار في المزمور ١١٩: ١٨، حيث يرفع كاتب المزمور هذه الطِّلبة أمام الله:

اكْشِفْ عَنْ عَيْنَيَّ فَأَرَى عَجَائِبَ مِنْ شَرِيعَتِكَ (المزمور ١١٩: ١٨).

يتكلّم كاتب المزمور في هذا العدد عن الطريقة التي كثيراً ما تأمّل بها في الكتاب المُقدَّس، وهو يعبّر هنا بشكلٍ أساسيّ عن نظرة حوارية في التفسير. أولاً، كان يؤمن بأن المعنى الموضوعي يمكن معرفته وإيجاده في "شريعتك". ولكن في الوقت نفسه، أدرك كاتب المزمور أنّه بحاجةٍ لاختبار ذاتي "يفتح عينيه" حتّى يتمكّن من فهم الشريعة بشكلٍ صحيح.

لم يكن كاتب المزمور يطلب من الله بأن يستبعد ويلاشي التأثيرات الذاتية، ولكنّه كان يطلب تحسين نظرته الذاتية من خلال زيادة وإنضاج بصيرته. وكما نرى من السياق الأوسع لهذا العدد، فإن كاتب المزمور استمرّ يعود إلى نصّ الشريعة لتحسين فهمه، محافظاً بهذا على الحوار مع الكتاب المُقدس، وهو ما حسّن باستمرار إدراكه لمعنى ما يقرأه.

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

سيبدأ استكشافنا للمنهجيات الحوارية في الوصول إلى المعنى بالطريقة ذاتها التي نظرنا بها إلى المنهجيات الذاتية والموضوعية. سننظر أولاً إلى الخلفية الفلسفية والثقافية التي أدت إلى ظهور النمط الحواري. ثانياً، سننظر إلى تأثير هذه المنهجية على علم تفسير الكتاب المُقدَّس. ولكنّنا بعد ذلك سنخطو خطوة إضافية نعقد فيها مقارنة بين المنهجيتَين الموضوعية والذاتية من جهة، والفهم الكتابي للمنهجية الحوارية من جهةٍ أخرى. ولنبدأ بالنظر إلى خلفية المنهجيات الحوارية.

الخلفية

في مجال علم التفسير الفلسفي، كان الفيلسوف واللاهوتي واللغوي الألماني فريدريك شلايرماخر، الذي عاش ما بين العام ١٧٦٨ والعام ١٨٣٤، يُشدِّد على الطبيعة الحوارية للتفسير. وقد قدّم منهجيةً معروفةً جيداً في التفسير تُدعى "الدائرة التفسيرية" (hermeneutical circle)، يحاول المُفسّرون بحسبها أن يفهموا النصوص أو المواضيع المُعقَّدة الأخرى. تبدأ الدائرة حين نقابل موضوعاً ونبدأ بمعالجته في أذهاننا. وبعد ذلك نعود مراتٍ عدّةً إلى مقابلة ذلك الموضوع والعمل على الوصول لمزيدٍ من الفهم له. كثيراً ما وصف آخرون دائرة شلايرماخر التفسيرية بأنها "الحلزون التفسيري" (hermeneutical spiral)، وهو يعبّر عن حركة دائرية متبادلة ما بين المُفسّرين ومواضيع دراستهم، بحيث تقود هذه الحركة بشكلٍ تدريجي نحو مزيدٍ من الفهم.

ظهرت المنهجيات الحوارية في مجال العلوم الطبيعية ايضاً. فحاول فلاسفة العلوم في القرن العشرين، أمثال توماس كون (Thomas Kuhn)، الذي عاش ما بين العام ١٩٢٢ والعام ١٩٩٦، أن يبيّنوا أن المعرفة العلمية تنتج عن التفاعل بين الحقيقة الموضوعية وأنماط الفهم التي لدينا ونأتي معتمدين عليها في بحوثنا العلمية. المفهوم الأساسي لنمط الفهم هو أن معتقداتنا متداخلة. فهي تترابط معاً في بُنيةٍ مُعقَّدة، بحيث يعزّز كُلُّ معتقَد المعتقدات الأخرى ويؤثّر بها. وطالما لا يشكّل أي معتقَدٍ جديدٍ تحدّياً لنمطنا الفكري، فإنّه يسهُل تبنّيه. ولكنّنا نقاوم المعتقدات الجديدة التي تهدِّد بنية أنماطنا الفكرية. وحتّى في هذه الحالة، حين تكون الأدلّة التي تعارض أنماطنا كافيةً، فإنّها يمكن أن تدفعنا إلى التغيير، أحياناً بطُرُقٍ ثورية تدفعنا لإعادة التفكير بكل شيءٍ كُنّا نظُنُّ أنّنا نعرفه. ولكن بغض النّظر عن درجةِ التغيير، فإنّنا نرى نوعاً من الحوار يحدث دائماً بين أنماطنا الفكرية واختبارنا للحقائق الموضوعية، ما يدفعنا باستمرار لإعادة تقييم كل واحدٍ من معتقداتنا في ضوء معتقداتنا الأخرى.

ربما يكون أكثر المنهجيات الحوارية تأثيراً في علم التفسير التي ظهرت في القرن العشرين هو

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

النموذج الذي قدّمه هانز–جورج جادامير (Hans-Georg Gadamer)، الذي عاش ما بين العام ١٩٠٠ و٢٠٠٢. تكلّم جادامير عن المعنى في العلوم الطبيعية والفلسفة واللاهوت والفنون والآداب بصفته اندماجاً لأُفُقَين معاً. وفي فكر جادامير، كان الأفق هو أيَّ شيءٍ يمكن رؤيته أو فهمه بحسب وجهة نظرٍ مُعيّنة. وفيما يتعلَّق بعلم التفسير، فإن أُفق النص هو أحد هذين الأُفقين. ويشمل هذا الأُفق كل النظرات التي تظهر في النص، والاستنتاجات المشروعة التي يمكن أن تُستقى من هذه النظرات. أمّا الأُفق الآخر فهو أُفق القرّاء. ويشمل هذا الأُفق كل مناظير القراء ومعتقداتهم ومشاعرهم ومواقفهم وافتراضاتهم، وغيرها من الأمور. يلتقي هذان الأفقان ويندمجان حين يبدأ القرّاء بإدخال عناصر من أُفق النّصّ إلى أُفقهم. وبتعلُّم القرّاء من النصّ، أو تبنّيهم وجهات نظر النصّ، فإنَّ أُفقَهم يتّسع ليشمل عناصر جديدة مأخوذة من أُفق النصّ.

بعد أن نظرنا إلى خلفية المنهجية الحوارية، لنوجّه انتباهنا إلى تأثير هذه المنهجية على تفسير الكتاب المُقدَّس.

التأثير

لأجل أهدافنا في هذا الدرس، سنركّز على نقاشنا لبعض الطرق التي بها استخدم الإنجيليون المنهجيات الحوارية بشأن الوصول للمعنى في تعزيز فهمهم وتفسيرهم للكتاب المُقدس. شدّد الإنجيليون، بشكلٍ خاصّ، على فكرة أن قراءة الكتاب المُقدس تختلف عن قراءة أيّ كتابٍ عادي، لأنّ الكتاب المُقدس يختلف عن الكتب الأخرى في كونه يملك سلطةً مُطلَقة علينا. ولهذا السّبب سنتكلَّم عن المنهجيات الإنجيلية المُتّبعة تجاه هذه القضايا بصفتها المحاورة المصحوبة بسلطان.

يدخل معظمنا، خلالَ أيّ يومٍ طبيعي، في مناقشاتٍ مع أنواعٍ مختلفة من الناس. وتتّخذ هذه المناقشات اتّجاهاتً مختلفة، وهذا يعتمد على الأشخاص الذين نتبادل معهم الحديث. فعندما نتكلّم بشكلٍ طبيعي مع أصدقائنا عن أمرٍ نفهمه، فإننا نتعامَل مع بعض بندية. فيتم تبادل الحوار، ونحاول جميعنا الاستماع، واحترام آراء بعضنا بعضاً. لكنْ عندما نتحاور حول أمورٍ مهمّة، مثل الصحّة أو تربية الأولاد، مع شخصٍ أكثر معرفةً وخبرةً منّا، فمن الحكمة أن نتحاور مع ذلك الشخص بطريقةٍ مختلفة. ومع أنّنا نعرف أن الخبراء يرتكبون الأخطاء، فإنّنا نبذل أقصى جهدنا للاستماع لهم بحرص.

لكنْ، تخيّل الآن أنّك تتحاور مع شخصٍ تعرف أنّه لا يرتكب أيّة أخطاء، وهو دائماً على حق. فمن المؤكَّد أنّك ستدخل ذلك الحوار ولديك أسئلتُك وآراؤك، لكنّك ستبذل كل جهدٍ ممكن لتفهم وتقبل كل ما يقوله ذلك الشخص لك.

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

ومن نواحٍ كثيرة، هذا هو الحال في تفسير الكتاب المُقدَّس. حيث لا يمكننا الهروب من أسئلتنا وآرائنا حين نأتي إلى الكتاب المقدس، لكنْ لأنّه معصوم من الخطأ، وهو دائماً على حقٍ، فإنّنا نبذل كل جهدٍ ممكن لفهم وقبول كلّ ما يخبِرنا به.

يشبه تفسير الكتاب المُقدَّس حواراً مع أعظم شخصٍ وأعظم مرجعية وصاحب سلطة يمكننا تخيّلها – مع الله نفسه. إنّه حوار لأنّه يشتمل على نوع من النقاش "الأخذ والعطاء" بين القرّاء والكتاب المُقدَّس. ففي جهة القراء في الحوار، كلُّنا نأتي إلى الكتاب المُقدس بأسئلتنا الكثيرة وتصوُّراتنا وخلفياتنا الثقافية واختباراتنا الشخصية. وكل واحدٍ من هذه الأمور يؤثّر بما نفهمه في الكتاب المُقدَّس. ومن ناحية الكتاب المُقدس في الحوار، يستمرّ الله في كلامه معنا من خلال كلمته، مؤكّداً في بعض الأحيان على ما نؤمن به، ومصحّحاً لأفكارنا في أحيانٍ أخرى.

إن خلفيتي وتجاربي واختباراتي في الماضي وغيرها من الأمور تؤثّر فيّ حين أقرأ الكتاب المُقدَّس. وعادةً ما أفسّره وأفكّر بمفاهيمه ضمن إطار تجاربي الحياتية. ولكنَّ المهمَّ هو أنّني حين آتي إلى الكتاب المُقدَّس آتي إليه واعياً بأنني آتي إلى الكتاب المُقدس. واضحٌ أن هذا ما يمكّنني من سماع ما يريد أن يقوله – فخلفيتي وأموري الأخرى تلعب دوراً في هذا. ولكنّني آتي ولديّ نيّة وقصد قويان بأن أُخضِع خلفيتي وأفكاري المُسبَقة للكتاب المُقدس. آتي إليه باختباراتي وتجاربي الماضية، التي مع أنّها تساعدني في فهم النص، لكنّني أُخضِعها له. فأفكّر في نفسي: "حسناً، هل استجاباتي وردودي صحيحة؟ هل يؤكّد أو يصحّح الكتاب المقدس ما أعتقد أنّه معنى النصّ؟" ولذا، فإنّني أعود باستمرار لأنظر إلى النصّ، وأرى الجوانب التي فيها تحتاج استجاباتي لتصحيح وإعادة تشكيلٍ لتنسجم مع ما يقوله الله في الكتاب المُقدس. وطبعاً، كلما ازداد فكري انسجاماً وفهمًا للكتاب المُقدس، أصير أكثر قدرةً على إخضاع استجاباتي للكتاب المُقدس ليشكّلها. إذًا أنا أضع استجاباتي أمام كلمة الله، وأجعل كلمة الله تعيد تشكيلها؟

—الدكتور جاري كوكريل

حين نخضع لسلطة الكتاب المُقدَّس، نتوقّع أن نتلقّى حكمة وتعليماً وتشجيعاً منه. نحنُ نثق أن الروح القدس يستطيع، بتوجيهه، أن ينيرنا أكثر فأكثر لنعرف المعنى الفعلي والحقيقي للكتاب المُقدس، وليمكّننا من تطبيقه بأمانةٍ أكثر على حياتنا. وهكذا، فإنّه كلَّما كان حسُّ المسؤولية في قراءة وتفسير الكتاب المُقدس أعلى

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

نصير أكثر توقُّعاً لأن يكون فهمنا صحيحاً، وتتقوّى مواهبنا وتنمو، ويصير فكرنا أكثر تدقيقاً، ويُعاد تقييم خلفياتنا الثقافية، وتتغيّر اختباراتنا الشخصية.

الخضوع لسلطة الكتاب المُقدَّس أمرٌ بالغ الأهمية، لأن هذا يُظهِر مدى ميلنا للخضوع لسلطة الله. وباعتبار الكتاب المُقدس كلامَ الله نفسه، فإنّنا بخضوعنا أو عدم خضوعنا لسلطة الكتاب المُقدَّس نشير إلى موقفنا تجاه الله نفسه. ولذا، علينا أن نكون حريصين على ألا نأتي إلى الكتاب المُقدس كقضاة له، بل أنْ نأتي بخضوع لسلطته، لأننا تحتَ سلطة الله بالدرجة الأولى.
—الدكتور روبرت لِستر

بعد أن نظرنا إلى خلفية المنهجيات الحوارية وتأثيرها على تفسير الكتاب المُقدَّس، لننظر إلى مقارنة بين المنهجية الحوارية في الوصول إلى المعنى من ناحية، والمنهجيتين الموضوعية والذاتية من ناحية أخرى.

المقارنة

تتعارض المنهجيات الموضوعية والذاتية فيما بينها في بعض النواحي الأساسية، ولكنّها تشترك في بعض الأمور المهمة. ففي حالات الافراط الشديد، يجعل النموذجان سلطة المُفسّرين مساويةً لسلطة الكتاب المُقدَّس نفسَه أو حتى أسمى منها. فتميل الموضوعية للمبالغة في تقدير مدى مصداقيّة وجهات نظرنا من الناحية العقلانيّة والعلمية. بينما تميل الذاتية للمبالغة في تقدير مدى مصداقيّة بديهياتنا وآرائنا الشخصية. لكنْ في كلتا الحالتين، تكون النتيجة نفسها: نحن نحكم على الكتاب المُقدَّس. لهذا، مع أنّ هاتين المنهجيّتَين تقدّمان بعض الأفكار المفيدة، تساعدنا المنهجية الحواريّة في التعاملِ بشكلٍ أفضل مع ضعفِنا ومع السلطان الإلهي للكتاب المُقدَّس.

نحنُ مهتمّون أساساً في هذا الدرس بمنهجيات إنجيلية للمحاورة المصحوبة بسلطان في الوصول إلى المعنى، وليس بالمنهجيات الحوارية بشكلٍ عام. ولذا، فإنّ مقارنتنا ستركّز أولاً على المحاورة المصحوبة بسلطان والمنهجيات الموضوعية، ثم على المحاورة المصحوبة بسلطان والمنهجيات الذاتية. ولنبدأ بالمحاورة المصحوبة بسلطان والمنهجيات الموضوعية.

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

المحاورة المصحوبة بسلطان والمنهجيات الموضوعية

تتشابه منهجية المحاورة المصحوبة بسلطان مع المنهجيات الموضوعية في كونهما يقِرّان بالحقيقة الموضوعية التي يمكن الوصول إليها في نصّ الكتاب المُقدَّس. الكتاب المُقدس هو كلمة الله وإعلانه لنا، وكل ما يقوله هو صحيح وذو معنى من الناحية الموضوعية. ويمكن لمنهجيات التفسير أن تساعدنا في فهم هذا الإعلان طالما كانت المنهجيات المُتّبعة تتوافق مع معايير الكتاب المُقدس وتنسجم معها. وبشأن هذا، قال الرسول بولس لتلميذه تيموثاوس، في ٢ تيموثاوس ٢: ١٥:

اجْتَهِدْ أَنْ تُقِيمَ نَفْسَكَ لِلهِ مُزَكًّى، عَامِلاً لاَ يُخْزَى، مُفَصِّلاً كَلِمَةَ الْحَقِّ بِالاِسْتِقَامَةِ (٢ تيموثاوس ٢: ١٥).

يشير الرسول بولس هنا إلى الطريقة الصحيحة في التعامُل مع كلمة الحق. واللافت هنا أنّه قارن ما بين الطريقة الصحيحة في معاملة الكتاب الُقدس وجهود العامل. كان بولس يقصد أن يقول إن الكتاب المُقدَّس يتطلَّب دراسةً حريصةً ومنهجيةً مسؤولة. ليست هذه المنهجيات كافيةً في ذاتها، ولكنّها لا تزال جزءاً مهمّاً من التفسير المسؤول.

مع أن منهجية المحاورة المصحوبة بسلطان تشارك هذه النظرة السليمة مع الموضوعية في علم التفسير، فإنّها أيضاً تتجنّب بعض الأخطار الحقيقية المرتبطة بالتطرُّف في المنهجية الموضوعية. فمنهجية المحاورة المصحوبة بسلطان تساعدنا في تجنُّب خطر التفكير بأنَّ أيَّ شخصٍ منا يمكنه أن يكون موضوعياً في تعامُله مع الكتاب المُقدَّس. كما أن منهجية المحاورة المصحوبة بسلطان تساعدنا على أن نتذكَّر أن الأحكام العقلانية والعلمية ينبغي أن يُنظَر إليها دائماً مع الخضوع للكتاب المُقدَّس.

بعد أن قمنا بالمقارنة بين منهجية المحاورة المصحوبة بسلطان والمنهجيات الموضوعية، لننتقل الآن للمقارنة بين المحاورة المصحوبة بسلطان والمنهجيات الذاتية.

المحاورة المصحوبة بسلطان واالمنهجيات الذاتية

كما أن منهجية المحاورة المصحوبة بسلطان تتشابه مع المنهجيات الموضوعية في بعض النواحي، فإنّها تتشابه أيضاً مع المنهجيات الذاتية في بعض نواحيها. فهي تقِرّ بأنّنا نأتي إلى الكتاب المُقدَّس بنظرات

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

ومعتقدات تؤثِّر على الطريقة التي بها نفسّر مقاطع الكتاب المُقدَّس. وعلاوةً على ذلك، فهي تتّفق مع الكتاب المُقدس والمنهجية الذاتية بشأن القيمة العظيمة للآراء الشخصية والذاتية في تفسير الكتاب المُقدَّس.

يشدّد الكتاب المُقدس بشكلٍ متكرّر على أفكار ذاتية. فنرى في المزمور ١١٩، تشديد المزمور على التأمُّل في شريعة الله، وطلبَ حقِّ الله بكل القلب، والطلب إلى الله بأن يفتح عيوننا لنرى ما أعلنه في الكتاب المُقدس، والمجيء إلى الكتاب المُقدَّس بموقف الفرح والطاعة، وبموقف محبة الشريعة لأنها هبة الله الصالحة، وبموقف التعهُّد بإطاعة الكتاب المُقدَّس، ونواحٍ ذاتية أخرى في حوارنا مع كلمة الله ذات السلطة. وكمثال على ذلك، استمع إلى ما يقوله المزمور ١١٩: ٩٧:

كَمْ أَحْبَبْتُ شَرِيعَتَكَ! الْيَوْمَ كُلَّهُ هِيَ لَهَجِي (المزمور ١١٩: ٩٧).

يشير كاتب المزمور في هذا العدد إلى إنّ محبته الشخصية لشريعة الله أثّرتْ على دراسته وفهمه للكتاب المُقدَّس. ونراه يكتب عن اللهج بالكتاب المُقدس – عن التأمُّل به، وهذه ممارسة ذاتية، وليست منهجية علمية مُدقِّقة، ممّا يشير إلى أنّه كان يفكّر ويتأمَّل بكلمات الكتاب المُقدس، بل وربما كان ينتظر أن ينير الروح القدس ذهنه وروحه.

لكن، مع أن منهجية المحاورة المصحوبة بسلطان تتشابه مع المنهجيات الذاتية في بعض النواحي، فإنَّها تختلف عنها أيضاً في بعض النواحي المهمة. فمثلاً، على خلاف ما ينادي به كثيرون من أتباع المنهجية الذاتية، تحذِّر منهجية المحاورة المصحوبة بسلطان من أنّنا إن لم نُخضِع ميولنا الذاتية لسلطة الكتاب المُقدَّس، فإن تفاسيرنا للكتاب المُقدس ستُعاق بشدّة. وهذا ما يؤكّد عليه الكتاب المُقدَّس نفسه، في مقاطع مثل ٢ بطرس ٣: ١٦ حيث تحدَّث بطرس عن كتابات بولس قائلاً:

كَمَا فِي الرَّسَائِلِ كُلِّهَا أَيْضاً، مُتَكَلِّماً فِيهَا عَنْ هَذِهِ الأُمُورِ، الَّتِي فِيهَا أَشْيَاءُ عَسِرَةُ الْفَهْمِ، يُحَرِّفُهَا غَيْرُ الْعُلَمَاءِ وَغَيْرُ الثَّابِتِينَ كَبَاقِي الْكُتُبِ أَيْضاً، لِهَلاَكِ أَنْفُسِهِم (٢ بطرس ٣: ١٦).

أقرَّ بطرسُ بأن بعض الأمور في رسائل بولس صعبة الفهم. ولكنّه قالَ أيضاً إن بعض القرّاء لا يتمكّنون من فهم تلك الأمور الصعبة بسبب جهلهم وعدم ثباتهم الروحي. ونتيجةً لهذه العيوب الذاتية، فإنهم يقرؤون من دون خضوع، ولذا يشوّهون معنى كتابات بولس.

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

كما تشير منهجية المحاورة المصحوبة بسلطان، فإن استكشاف الكتاب المُقدس عملية تستغرق طول الحياة، عملية يغيّرنا فيها الكتاب المُقدس وينمّينا وينضِجنا في إيماننا المسيحي. وبينما ننمو مُتّبعين المنهجيات الكتابية في التفسير بحسٍّ عالٍ من المسؤولية، فإن منهجية المحاورة المصحوبة بسلطان تعزّز فهمنا للمعنى الموضوعي للكتاب المُقدَّس. وهذا الأمر بدوره يؤدّي إلى مزيدٍ من النمو الشخصي والذاتي، وتستمرّ العملية. وبهذا، يمكن تصوُّر حوارنا مع الكتاب المُقدس كما لو كان حلزوناً يتناوب بشكلٍ متكرّر بين النص الكتابي ذات السلطان والقارئ. والهدف من مشاركتنا في هذه العملية الحلزونية هو أن نقترب شيئاً فشيئاً من معنى النصوص الكتابية. فإنْ سارت الأمور بشكلٍ جيّد، فإنه كلما ازداد الدورات التي يدورها هذا الحلزون، وصغرت تلك الدوائر، اقتربنا أكثر إلى المعنى الحقيقي والمقصود في الكتاب المُقدَّس.

وما الذي يساعد في إنجاح هذا الحوار؟ كما سبق فأشرتُ، يتطلّب هذا الحوار جهداً جاداً منا. ولكنّ جهودنا بلا فائدة إن لم يقُدْنا الروح القدس نحو فهم أعظم وتطبيق أعمق للكتاب المُقدَّس. وبسبب عمل الروح القدس، يمكن أن يكون لدينا أمل بأن نُخضِع أنفُسَنا بصدقٍ له ولكلمته، وبالتالي تزداد قدرتنا على تفسير الكتاب المُقدَّس.

> **إنك تأتي إلى كتابك المُقدَّس بنظرتك وفلسفتك وأفكارك وافتراضاتك، فهكذا يمكنك أن تفهمه. ولكنّ إن استمررت في التفاعُل مع النَّصّ بروح الصلاة، فإن النَّصَّ سوف يقودك في دوائر حلزونية تقترب أكثر فأكثر من المعنى الحقيقي العميق للنّصّ. ولذا، فإنّ ما يحدث هو أنّه كلّما تفاعلتَ بروح الصلاة مع النص نفسه، زاد تأثيره على نظرتِك وفهمِكَ، واقتربتَ إلى فهم المعنى الحقيقي لكلمة الله الحي في النصّ.**
>
> **—الدكتور فليب بايز**

الخاتمة

قمنا في هذا الدرس بعمل مسح للمنهجيات المُتّبعة في الوصول إلى المعنى، وهي المنهجيات التي اتّبعها المُفسّرون عبر القرون. فنظرنا إلى المنهجيات الموضوعية التي تميل لرؤية المعنى فقط في النص الكتابي نفسه، ونظرنا إلى المنهجيات الذاتية التي ترى معنى نصوص الكتاب في نظرات قرّائها وأفكارهم، ونظرنا إلى المنهجيات الحوارية، وخاصّة منهجية المحاورة المصحوبة بسلطان، والتي تقول بأنه يمكن للقرّاء أن يصلوا إلى المعنى من خلال تفاعلهم مع نصوص الكتاب المُقدس ذات السُّلطة.

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

لقد قابلنا جميعاً في وقتٍ ما أناساً تطرَّفوا في الموضوعية أو الذاتية. لكنّ تعجز هاتين المنهجيتين عن فهمِ الكتاب المُقدَّس وتطبيقِه بشكلٍ مناسبٍ. فعلينا أن نتذكرَ دائماً أن آرائنا الذاتية الخاطئة تؤثِّر باستمرار في فهم ما يعنيه الكتاب المُقدَّس. ولكن في الوقتِ نفسهِ، علينا أن نسعى بإخلاصٍ للاستماع والخضوع لما يعنيه الكتاب المُقدس. وعندما يبارك الروح القدس محاولاتَنا لاستخدام الكتاب المُقدس في هذا النوع من الحوارِ المصحوب بسلطانٍ، سنتمكن من التقدُّم نحو تفسيراتٍ أفضل وأكثر مسؤولية للكتاب المُقدَّس.

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org